إهداء

إلى
عيون تعشق ضوء الحقيقة

وعقول تأبى أن تكون فريسة
إلى
شباب مصر

obeikan.com

obeikan.com

تقديم

عندما يكون النقد فى سهولة التنفس ، عندما يكتسب التجريح شرعية الحقيقة ، عندما تُنزع نياشين الإنجازات من صدور الزعماء ، عندما تتغلب شهوة الانتقام على فضيلة الرحمة ، عندما تعلق الأقلام مشانقها للتاريخ ، عندما تصبح زناداً يقدح شرارة التعصب ، عندما تقع الأحكام تحت طائلة الأهواء ، عندما تحدث ضبابية الرؤية ، عندما تتبدل معايير الوطنية ، عندما يصبح الخائن بطلاً والبطل خائناً ..... فاعلم أنها «جريمة تشويه التاريخ» .

تعتبر الكتابة الحد الفاصل بين عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخي ، وتبدأ العصور التاريخية باختراع الإنسان للكتابة ، وبدء تسجيل ما قام به من نشاط ، وما مر به من أحداث ، وكان من الطبيعي أن يحظى تاريخ مصر الطويل باهتمام شديد من المؤرخين والكتاب والمفكرين ... ورغم عشق المصريين لتاريخهم واعتزازهم بأمجاد حكامهم ، فإن هناك طائفة منهم تعمد بشكل واضح إلى تشويه التاريخ ولى عنقه بدافع التعصب أو نشاط الأهواء والمصالح ، فتمجد من الحكام من يتفق ومذاهبهم أو يتوافق مع مصالحهم ، و فى نفس الوقت تهيل التراب على أمجاد من سبقوه ؛ لذا لم تبلغ كتابتهم وشهادتهم وأقوالهم الغاية المنشودة من المصداقية ، ولعلها عادة توارثوها من أجدادهم الفراعنة عندما كان يستهل بعض ملوك الفراعنة عهودهم بطمس آثار وأمجاد وانتصارات أسلافهم من الملوك من على جدران المعابد ، ويسعى أرباب المصالح فى كل حقبة زمنية إلى تمجيد أعمال الحاكم وتضخيم ذاته وتبرير أخطائه ، ونقد أعمال وسياسة سلفه كنوع من تقديم فروض الطاعة والولاء ، ومع إشاعة هذه المفتريات وتداولها بين الناس أجيالاً تلو الأجيال ، قفزت فى أذهانهم كأنها حقائق وأصبحت تلقى استجابة وصدى لدى الكثير منهم .

وفى عصرنا الحديث بلغ التزييف مداه ، حتى أصبحنا ننقب عن الحقائق ونتلمسها من بين حطام الأحداث فى ظل هذا الخضم من الافتراءات ، ورأينا رموز ألفنا أنها وطنية تلهبها سياط النقد من جلاد التاريخ الذين بثوا سموم أقلامهم فى وريد التاريخ ، فحولوا رموز الوطنية إلى عناوين للخيانة والعمالة ، وانطلقت تلك الخفافيش تنقل أفكارها حتى وجدت مكانها للاستيطان فى عقول الأجيال وانطبعت فى أذهانهم ..... ، ولم يكن هذا الكتاب إلا محاولة بسيطة للتصدى لهذه الوقاحة التاريخية التى نالت أحد زعماء الوطن الذى عهدناه بطلاً للحرب والسلام ، حارب من أجل تحرير الوطن وأرسى السلام من أجل رخائه واستشهد وهو يحتفل بنصره . ركز هذا الكتاب على كل ما أثار الجدل فى حياة السادات السياسية من مواقف وقرارات اختلف حولها البعض ، وابتعدنا قدر الإمكان عن سرد المعلومات المعروفة عن حياته الشخصية بهدف إعطاء الأولوية لتاريخه السياسى الذى جرى تشويهه من البعض والذى كان جزءا من تاريخ مصر فى هذه الفترة ، ولست بصدد تأريخ لتلك الفترة الساداتية ، فلا أمتلك موهبة المؤرخين الذين يستطيعون النظر إلى الماضى من خلال منظور تحليلى ، كما لم أطحن بين تروس التجارب والخبرات لأقدم للقارئ خلاصتها ؛ فكاتب هذه السطور لم يتخط بعد عامه الثانى والعشرين ، ولكنى أزعم أن لى رأيا ربما يحتمل الصواب وتسانده الحجة . رغم أن هدفنا الرئيسى فى هذا الكتاب هو الدفاع عن منجزات السادات التى جرى تشويهها من البعض وتفتيح عيون الأجيال على حقيقة هذه الإنجازات ، فإننا لم نغمض أعيننا نحن عن ذكر بعض سلبيات السادات حتى تخرج الصورة فى إطار من الموضوعية فهذا الكتاب ليس دفاعاً عن السادات بقدر ما هو دفاع عن مصر وتصحيح تاريخها الذى جرى تشويهه بهتاناً وزوراً .

تمهيد

!!! .. هكذا يمكن أن نبدأ حديثنا عن الرئيس السادات وهكذا أيضا يمكن أن ننهى حديثنا عنه بـ «علامات تعجب» ؛ فقد مثلت حياة الرجل وسيرته وسنوات حكمه سلسلة من المفاجآت والألغاز التى صعب على المؤرخين والمفكرين والكتاب فك طلاسمها ... إنها شخصية محيرة بالفعل .. ، فقد سارت حياته بطريقة درامية يصعب على خيال أمهر كتاب الروايات والقصص تصورها ونسج أحداثها المشحونة وانعطافتها المختلفة وتحولاتها المفاجئة ومغامراتها المشوقة ... فمن ضابط فى الجيش المصرى إلى سجين سياسى مشرد إلى سواق إلى حمّال إلى أحد ضباط الثورة إلى رئيس مجلس الأمة إلى رئيس جمهورية !! ولم ينضب صندوق المفاجئات والألغاز ، فبعد وصول السادات إلى سدة الحكم يبدو عليه الضعف لخصومه وملامح الفلاح طيب القلب المغلوب على أمره ، نراه يخلع هذا القناع ويكشف عن مكر الفلاح ودهائه فيطيح بكل خصومه ومعارضيه بضربة واحدة ! وبينما يستهل عهده بنزع أسنان الديكتاتورية فيفتح السجون والمعتقلات ويلغى الرقابة ويرسى قواعد الديمقراطية ، نجده ينهى حياته بزرع أنياب حادة لديمقراطيته فيعتقل عددًا كبيرًا من جميع القوى المعارضة ومن مختلف التيارات السياسية ! وحينما كانت روح اليأس تسيطر على الشعب المصريين من إمكانية قيام الحرب وتحقيق النصر ، ومع اطمئنان العدو ، وبينما يغط العالم فى سبات عميق ، فاجأ السادات الجميع بقيام الحرب وتحويل الهزيمة القاسية إلى نصر مؤزر فى ست ساعات !

ومع يأس الجميع فى إمكانية حل الصراع العربى الإسرائيلى وإحلال السلام ، أذهل السادات عقول الجميع بزيارته التاريخية للقدس وذهابه إلى عقر دار عدوه

الذى امتد صراعه معنا لأكثر من ربع قرن ثم يبرم معه معاهدة سلام !

ورغم أن السادات هو الذى أفرج عن الجماعات الإسلامية وأعطى لها قبلة الحياة ورعاها ، تنتهى حياته بالاغتيال على أيدي أفراد من إحدى هذه الجماعات !

ولم يكن السادات كالكثير من الحكام الذين أصبحوا فى ذمة التاريخ وحُسم مالهم وما عليهم ؛ حيث ترك الرجل بعد موته تركة ثقيلة من القرارات التى وصفها بالصدمات السياسية أدهشت العالم وهزته من أعماقه وانقسم حولها الجميع ، فبينما يرى الغرب السادات أحد أعظم القادة فى القرن العشرين ، يراه العرب الخائن الأعظم للقضية العربية ! وتحركت رؤية المصريين للسادات بشكل بندولى بين الفريقين ، وبعد مرور أكثر من ربع قرن على وفاة السادات ما يزال إلي هذا اليوم محل جدل لا يهدأ ولا يستقر في كل الأوساط وعلى كل المستويات المحلية والدولية ، أما عن رؤية كاتب هذه السطور فلم تكن أقل حيرة ممن سبقوه ولكن بالنظر إلى منجزات السادات وبالنظر إلى أخطائه، وبالنظر إلى بعض قراراته التى أثبت الزمن أن له بعد نظر فيها نراه : أخطأ كما أخطأ سواه ولكنه أصاب أكثر مما أصاب كثيرون ، ورغم إثارته للجدل فإنه جدير بالاحترام، ورغم سلبياته، فإنه من أعظم الشخصيات فى تاريخ مصر . لكن البعض أطلقوا العنان لأقلامهم تنهش سيرته بعد موته وكرسوا جهدهم لإظهار عهد الرجل بأنه سلسة متصلة من الأخطاء وجردوه من كل إنجازاته، وأوغلوا أقلامهم فى صدر أحد رموز التاريخ فكان «الاغتيال الثانى للسادات» .